

مناقشة

لم هذه الضجة ؟

بقلم : عبد اللطيف اليونس

لم هذه الضجة ؟

بل لم هذا الضجيج المستمر حول « نزار قباني » وما ينشره من شعر !

من سنوات طويلة اقاموا الدنيا - ولم يفقدوها ! - حول قصيدته « ايلن اني لعبة بيديه » .. وكنت أحد الذين دخلوا ذلك المعترك - ولكن من ناحية دراسة شعر، لا من حيث انعرض لموضوع أنخزاة والفسانيين. ثم قدر لي ان ادخل في غمار معركة لاهية داخل مجلس النواب - في سورية - حيث بقي انقاش الحاد حول قصيدته : « خبىز وحشيش وقمر » بضع ساعات اوشك هيكل الوزارة خلالها ان يتصدع .. لان الشاعر كان موظفا في السلك السياسي - وكان الموظف ليس مواطنا عربيا له حرية التفكير والتعبير ! بل كان عليه ان يلجم فؤاده ، ويسلس قياده ، ويخصي كلماته وشفتيه - على حد تعبير « نزار » ! وتأتي بعد ذلك قصيدته عن النكسة والسلاطين - وهو حتما يعني بها الملوك والامراء الجالسين على عروشهم « سعداء » ، وكان نكسة فلسطين ليست نكبتهم ، ومأساتها ليست مأساتهم !

ويقف على منبر في القاهرة ليلقي قصيدته الاخيرة : « الى شعراء الارض المحتلة » ، والتي يصف بها شعراء قومه بالتخاذل والضياع ، والارتقاء على ابواب الحاكمين .. ثم يصف واحدهم بأنسه « مخصي الشفتين » .. « مخصي الكلمات » .. وانه يعمل « حوذا » لايمسر القصر .. ومهمته : « ان يمسح المعطف للحاكم ، ويصب له اقداح الخمر » .

قد يكون في اتهامات « نزار » بعض التجني ، وبعض الجموح عن الحقيقة .. وقد يكون في صوره الساخرة عن الشعراء ما لا يجوز ان يخاطبوا به جميعا .! فهناك فئة كريمة منهم ليس الشعر عندها « درويشا يترنج في حلقات الذكر » ، وليست افكارها مخصية ، ولا كلماتها كذلك ! هناك ، وهنا ، شعراء شرفاء .. يعيرون احداث أمتهم وآلامها .. وقد صوروا مآسيها ، وانحوا باللائمة على جلاذيتها ، ووقفوا من الاستعمار واذا نابه اكرم موقف ، واجراه واخلفه ، وانزهه واسماه . ولو جمع الشعر الذي قيل في النكسة الاخيرة - كله - لشكسل وحده ملحمة خالدة فريدة . ولكن « نزارا » لا يبحث عن الكمية ، وانما يبحث عن النوعية .

يريد من شعراء امته ان يكونوا جنودا في ساحات المعركة - على رؤوسهم خوذا ، وفي جباههم جراحا ، وعلى اجفانهم يموت النوم .. وفي ضمائرهم يقظة لا تغفل ، وتوثب لا يهدأ ، وسهر لا ينتهي . يريد من قادة هجوم - لا اناسا يجلسون وراء المنابر يحتمسون وينظفون .

ثم يريد من ، بعد هذا وقبله ، ان يظفروا معلمي اجيال ، ومنائر على مشارف الطرق ، ومشاعل على ذرى التاريخ - لا فئة من الناس ، تعيش على هامش الاحداث ، وهوامش العقيدة والكفاح .

وليست مهمة الشاعر ان يبكي ويستبكي ، وينوح ويندب .. وانما مهمته ان يستنقذ ويستنقذ ، ويندفع ويستشير .

مهمته ان ينحت « حرفه بالسكين » ، وكلماته بالحرايب . مهمته ان يقول كلمة « العلى » .

ألم تسمع بقصة « المارسييلز » ؟
وكلمة « العلى » ، هذه ، لا يقولها الا من يرتفع الى مستواها - وهو فوق مستوى الجميع : طاقة وعملا ومسؤولية .

ذلك التشيد الذي خاض ميادين ، وربح وحده معارك .. وكان هم النازية حين انتصرت ان تلقيه .. ولكنه كان محفورا في قلوب ابناء الشعب .. فخلق مقاومة ضارية ، ثم حقق بعد ذلك نصرا اكيدا . تريد تشيدا من هذا القبيل : تحفر حروفه بالسكين ، وتنتطق حهما وفذائف .

تريد شعرا لا يهادن الخونة ولا يراعيهم .. وانما يضعهم في مصاف الاعداء ، ويشن عليهم هجوما ساحقا عنيفا . ملوك البترول ، عبيد الحريم .. اصحاب النفوس الميتة ، والمبادئ السقيمة ، والعقليات الذميمة .

تريد شعرا يحارب هؤلاء بكل جرأة ، ويقاومهم بكل صراوة . هذا ما يريد « نزار » ، وتريده معه .

« نزار » شاعر جريء . يقول كلمة الحق - او ما يعتقد انه حق .. لا يخشى في ذلك لوم لائم ، ولا نقد ناقد ، ولا تحامل متحامل . وكلما جهر برأي جريء . يعبرونه بالليالي الحمراء ، والشفاه المخضبة ! كان ذلك وفقا عليه وحده دون سواه ! وكأنه ليس شاعر أمة .. وانما - كما يقول فيه الشاعر « محمد عبد القني حسن » :
(فيه للهو ألف عزم .. ولكن ليس فيه لقومه أي عزمه) ! وهكذا « نزار قباني » يا شاعر الاهرام !!

ألم تر فيه الا : « شاعرا فاجرا ، يجرح الشعر والشعور ، وبطل الفساد في كل حرف من أناشيده ، وكل كلمة من كلماته » !
اهذا كل ما قرأته له ، وتعرفه عنه !؟

ألا تذكر من شعره الا النهيد الذي يعربد ، والشفاه التي تضح !
ألم تقرأ قصائده - العديدة - في الاندلس ، والحب والبترول ، « وجميلة ابو حيرد » و « فتح » ، ورسالة جندي في جبهة السويس ، وعشرات القصائد التي تلتهب وطنية وحمية ، ويظهر الاخلاص من كل بيت من ابياتها ومقطع من مقاطعها !
ألم تسمع صرخاته المدوية في وجوه الفزاة ، وتشهيره الصاعق بتجار البئات !

أليس في هجماته على الجمود والتخلف ، والتواكل والجهل .. والاخلاد الى دخان النرجيل ، وطقظة المسابح ، ومضغ القات ، والارتقاء على وسائل لينة ، وعشب ناعم ، في ضوء قمر وحول زجاجة خمر - ونحن بين برائن اعداء لؤماء ، معرضون لاندثار قومية ومحسوسو تاريخ .

أليس في ذلك ، كله او بعضه ، وفي صرخاته اللاهية - هذه او تلك - عزم وأي عزم ، وحمية واية حمية .. ووطنية صارخة ، وبطولة نادرة ، واخلاص مجسم ؟

وكيف يكون الاخلاص اذن ؟
هل هو في الرضوخ للواقع ، والسكوت عن الجهر بالحقيقة .. وفي ان ينطوي الشاعر على نفسه ، فلا يجهر برأيه ، سواء كان مخطئا او مصيبا !؟

هل هو في تنكرنا على انفسنا وواجباتنا ومجتمعنا .. ثم الصمت - الصمت المطبق ، والمخجل ، والشائن ، والمهين ! وفي ان ينظم « احدهم » ديوانا كاملا في احد ملوك البترول ، وينظم عشرات آخرون في امرأه آخرين - حتى يضطر « بدوي الجبل » الى ان يقول :

وأي نعمة نرجيها الى بشرى واللله قربنا منه واداننا تبكي السماء ، وتبكي حورها جزعا للحسن والشعر في الدنيا اذا هانا وهل اذا ذكر شاعر تمطي شفة ، وتراخي جفن ، وتثلوب نهد ، لن يعود من حقه ان يطرق مواضيع قومية ، ولا ان يبحث في امور مجتمع ووطن !؟

وكيف يكون الشعر والشاعر اذن ؟ ايكون مكبلا بقيود الاعتبارات ، ومصفدا بانصفاذ التجاملات ، ومطوقا بعبارات المداجاة والمراعاة .. لا ينظم

رَحَلَهُ الحُرُوفُ والصُّفْرُ

للشاعر بلند الحيدري

صوت معروف ، ولكنه متجدد ، من أصوات الشعر العربي الحديث

يصدر هذا الشهر

لا برغبة في تقليد الجديد ومخالفة القديم (آداب يوليو ١٩٦٨) .
ان كل الكتاب ، قدامى وجددا ، واقعيون بشكل او باخر لانهم
نمرة واقفهم . ان آلان روب جريه يعترف بأنه كاتب واقعي ، ولويس
أراجون يؤكد شمولية الواقعية : « وكلمة الواقعية او الواقعي قد تؤدي
الى الخلط او قد تلتبس معانيها على أقل تقدير . وهناك فنانون كبار
يمقتون هذه الكلمة مع ان الفضل في بغائهم يرجع الى الجانب الواقعي
في اعمالهم . واذكر على سبيل المثال الفنان ماتيس اذ كان يقول انسه
ينطلق من الواقع وانه لا يستطيع ان يستغني عنه . ومع ذلك كان ماتيس
لا يتفوه بكلمة الواقعية دون ان يتحامل عليها . انها مأساة المفردات .
وبوسعكم ان تعتبروا كلمة الواقعية وصمة عار ولكني لسن أتخلي عنها
أبدا . فالموقف الواقعي في الحياة أو الفن هو مغزى حياتي وفني » .
(مقدمة « واقعية بلا ضفاف » ص ٩ و ١٠) .

اريد ان أقول بأن هناك سوء فهم معقد للواقعية نتيجة لخطأ
بعض شراح الواقعية الاشتراكية في تضييق أفقها . وكذلك نتيجة لبعض
كتاب الواقعية الذين ارادوا ان ينظروا رؤاهم الفنية وان يجمسدوا
الكتاب حولها . ان روجيه جارودي الناقد والايديولوجي الماركسي
العظيم وضع كلا من الرسام بيكاسو والشاعر سان جون بيرس والروائي
كافكا ، في عداد الواقعيين ، لانه ينظر نظرة انسانية الى الواقع ،
والى حق كل انسان في ان يعكس الواقع من ذاتيته ، ما دامت رؤاه
انسانية . وفي « ماركسية القرن العشرين » اكد روجيه جارودي انه
برغم ان الفن هو البناء الفوقي للمجتمع وانسه لذلك مرتبط بطبقات
المجتمع ، فانه مستقل عن الايديولوجية برغم انطلاقه منها وذلك بسبب
خصوصية الفن . كما اوضح المفكر الفرنسي ان الواقعية ليست نقلا
جامدا للواقع . فالواقعية ليست آواقع الحالي فحسب ولكنه الواقع
المقبل . (ماركسية القرن العشرين ص ٢٤) وفي « واقعية بلا
ضفاف » يؤكد روجيه جارودي على حقيقتين : « لا يوجد أبدا أي فن
غير واقعي ، كما لا يوجد فن لا يستند الى واقع متميز ومستقل عنه » .
(واقعية بلا ضفاف ص ٢٥) بل انه نفى فكرة اساسية من افكار
الماركسية ، الا وهي ان الفن هو البناء الفوقي للطبقات . « ومن
السخف ان نستنتج مفهوم أي انسان للعالم من خلال وضعه الطبقي .
كان كارل ماركس من حيث أصوله الطبقي ، برجوازيا صغيرا ، كما كان
انجلز من ابناء البورجوازية الكبيرة ومع ذلك فان تصورهما للعالم لا
يمت بصلة الى مفهوم طبقيتهما للعالم . » (المرجع السابق ص ٢٢٨)
بل انه لا يحرم الفنان من حقه في الابداع الفني وفي خدمة الواقع
حتى ولو لم يكن له وعي نضالي او سياسي .

ليس هناك ارحب من هذه التفسيرات للواقعية . ومن ثم يبين
لنا مدى خطأ فكرة التعارض بين الواقعية والتجديد .
ان انجاهنا الى الاشتراكية وايماننا بالواقعية الاشتراكية لا يعني
ضرب كل ما عداها من اتجاهات ادبية اخرى . ان صمويل بيكيت

قصيدة الا بايحاء من اصبع ، ولا ينقش بيتا الا وهو يتلفت يمينا ويسرة!
اذا لم يكن الشعر معولا يهدم كل فاسد ، ويحطم كل جامد ، ويقضي
على مخلفات التقليد والخضوع ويرفع راية التحرر والتطور ، والانفتاح
والانطلاق . . فليس هو شعر أمة ، ولا يجوز ان يكون .

واذا لم يكن الشاعر جريئا في قول كلمة الحق ، او ما يعتقد انه
حقا - سواء كان مخطئا في ذلك او مصيبا - فلا كان .
واذا لم يكن « نزار قباني » هذا الشاعر . . فلا كان ايضا .

عبد اللطيف اليونس

رأي في الادب التجريبي

بقلم احمد محمد عطية

ليسمح بي الاصدقاء والزلاء في دائرة الادب التجريبي ان ابدا
برفض اسم الادب التجريبي . اني لا اعترف بان هناك أدبا تجريبيا وأدبا
غير تجريبي . وذلك انطلاقا من عدم اعترافي بان هناك أدبا للخاصة
وادبا للعام . ان التجريب ليس الا التجديد . والتجديد موجود في
كل عصر وفي كل أدب . والتجديد مطلوب . وهو مطلوب لكل الناس
وليس لبعض الناس . وما دمت قد رفضت الادب التجريبي انطلاقا من
فكرة ان الادب لكل الناس وانه عند تنظير الادب فاما ان يكون هناك
أدب او لا يكون . فاني ارفض كذلك ما يسمى بالادب الطبيعي ، ذلك
لان الطبيعة في نظري هي القيادة السياسية ، هي استشراف المستقبل
السياسي والاجتماعي لامة ما . ان التجديد يتناول الشكل اما الطبيعة
فتتناول الموضوع . وفي كل عصر هناك تجديد في الشكل ، كما ان هناك
تنبؤات بالمستقبل السياسي والاجتماعي . ومع اني اختلف مع آلان
روب جريه في نظره الواسعة للاشياء وتجريدها ، الا اني اتفق معه
في نظره الى ما يندرج تحت الطبيعة : « ما ان يحاول اي كاتب
التخلص من الديباجات المستهلكة ليحاول ان يصنع اسلوبه الخاص به
حتى تلصق عليه بطاقة الطبيعة . » (نحو رواية جديدة ص ٢٣) .
لقد اعتقد الدكتور نعيم عطية بان التجريبية ضد الواقعية .
(المجلة يوليو ١٩٦٨) . وشاركه غالي شكري ايضا في ان التجريب ضد
الواقعية . (الطبيعة يونيو ١٩٦٨) . ولا اعرف لماذا يصفون على اعمال
روب جريه وصمويل بيكيت وغيرهما ، صفة الطبيعية بالرغم من ان
روب جريه نفسه استنكر هذه الصفة . اما سامي خشبة فيستبعد
كلمات تجريب وطليعة ويركز على هومو جيلنا والتعبير عنها بصدق

وروب جريبه وناتالي ساروت يجب ان يكون لهم وجود في ثقافتنا العربية ولكن على الا يكون هذا الوجود مجرد نقل ، مجرد تشبه . يجب ان نفهم من أين تنمو دعاوى العيب والرواية الجديدة والقصة الضد . من أي مجتمع تنمو ، وكيف انتهت المجتمعات الأوروبية الغربية الى هذا المستوى من التعقيد والرقي والتمزق في آن واحد . ان العالم المتقدم تكنولوجيا الذي اخذ يسيطر عليه العقل الالكتروني والافكار الصناعية يلزمه آدب متقدم مختلف عن آدب القرن التاسع عشر وروايات بلزك في عصر تفتح البورجوازية . ان اندحار البورجوازية وغزو الاشتراكية للعالم وتحكم الآلية في الانسان كل ذلك يلزمه فن معقد يماثل تعقد الحياة في المجتمعات الغربية . ولكن هذه ليست حياتنا نحن العرب . ومع اني أؤيد حق كل التجارب الادبية الابداعية في ابداء رأيا ، فلا ينبغي لنا في وقت عصيب وخطير في تاريخنا ان يكتب آدب بمعزل عن ظروفنا وايا كان الشكل الادبي له . لذا فاني اتابع باهتمام وبهزيم من التأييد كتابات محمد عودة الاخيرة من الآدب وعلى الخصوص قوله عن التقليد لا التجديد في بعض اتجاهات الآدب الجديد : « وقد كان الامل معقودا على الجيل الجديد من الكتاب . ولكنهم عاشوا الازمة الأوروبية المعاصرة ونقلوها نقلا حرفيا اعمى الى بلادنا ، ورأينا آدبا يمكن ان يكتبه خنافس أوروبا ويعبر عنهم . ولكنه لا يعبر في شيء عن أزمة او عن ثورة الانسان المصري والعربي الجديد ... » وانا اعرف ان الكثيرين لجأوا الى نقل هذه الاشكال الجديدة حيا في القرابة وادعاء بالعالية . ولكنني أعلم أيضا ان القليل منهم اختار هذا الشكل الجديد لانه اطاره المناسب المعبر عن فنه وموقفه في عالمنا .

اننا لا نريد ان نفرض اي اتجاه على وجدان الكتاب ، لهم حريتهم فيما يكتبون وفيما يريدون . ولكن من حفتنا ان نطالبهم بالا يخونوا

قضايا شعبنا ولو بالتجاهل ، بالصمت . لا نريد للآدباء العرب ان يكونوا ذيو لا لكل فكر اوروبي او غير اوروبي ، فعندما ينتكرون فسي الشكل فيجب ان يكون ابتكارهم هم وليس مجرد نقل ومحاوله للظهور بمظهر العصرية . وقد حذر روب جريبه نفسه من ذلك بقوله : « وهناك كثير من التابعين الذين يتشبهون اتجاه آريج وينقلون الاشكال الحديثة دون الاحساس بضرورتها ودون ان يفهموا وظيفتها ودون ان يروا ان مثل هذا النقل يقتضي على الأقل براعة معينة ... » (نحو رواية جديدة ، ص ١٤٨) .

اسمحوا لي ان اقول : نحن نكتب حقا لكي نخلق عالما جديدا ، عن طريق اعادة اكتشاف عالمنا . ونحن نسقط ذواتنا في كتاباتنا ، ولكننا ايضا نكتب كل ذلك لاننا جزء من الناس ، ولاننا الجزء المعبر عن الناس ، فمن حق الناس ان نكتب لهم جميعا بلا استثناء والا نخص البعض بكتابات ونخص الباقي بكتابات اخرى . نحن نكتب للجميع لاننا جزء من جميع الناس ولاننا نحمل هموم عصرنا ونطرحها ونظلم نظرحها بأمل خلق عصر جديد . يجب ان نضع في اعتبارنا اننا لا نكتب لانفسنا فحسب . نحن نكتب للناس . والناس في بلادنا اميون فسي اغلب الاحوال . والناس في بلادنا بؤساء متخلفون . وجامعاتنا تخرج اميين ثقافيا . لا احد يقرأ ، لا احد يريد ان يعرف ، وحياتنا تسيير في جهل متوارث . والكتاب لا يعرف طريقه الا الى الكتاب ومريديهم . يجب ان نخرق الحلقة المفرغة التي ندور فيها . يجب ان نكسر السور الذي نكتب عليه لنعيد قراءة ما كتبناه . يجب ان تصل الكلمة المكتوبة لجمهورنا الحرومة من لذة معرفة الحقيقة ، المعزولة عما يدور في عالمنا .

احمد محمد عطية

القاهرة

للمؤرخ البريطاني الشهير
ارنولد توينبي

الوحدة العربية متأتية!

عرف المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي بتعاطفه مع العرب وتأيبده لقضاياهم . وان مواقفه من اسرائيل وعدوانيتها وعنصريتها لا تزال في الازهان .

وفي هذا الكتاب يتنبأ توينبي بان الوحدة العربية لن تستغرق من الزمن حتى تتحقق ما استغرقته الوحدة الالمانية والوحدة الإيطالية ، ولن تنحرف مثلها ، بل ان سنة ١٩٧٤ هي الحد الاقصى (كما يقول توينبي) لاشراق نور هذه الوحدة العربية .

ويتحدث المؤرخ البريطاني عن العقبات التي تعترض الوحدة العربية والوحدة الافريقية ، ولكنه يؤكد ان هذه العقبات ، ومنها مصالح بعض الافراد والاسر المستفيدة من التجزئة ، ستزول تدريجيا ، وان الوحدة العربية قادمة قريبا ، وويل لمن تعميمه مصلحته الموقته من ابنائها عن الحق ، وويل اكثر لمن يقف في طريقها ، معاداة للخير ، من غير ابنائها ...

وفي هذا الكتاب المتع تأملات تاريخية طافت بذهن توينبي اثناء رحلاته الثلاث الى بلدان افريقية ، شمالي وجنوبي الصحراء الكبرى ، وعرض دقيق لمشكلة السودان ونيجيريا ، وائتلاف الاسلام والمسيحية في الحبشة وتاريخ نهر النيل ، ووصف شيق لمنطقة « سد الجبل » في اعالي النيل وورشة « اسوان » و « الجزيرة » في السودان ، مع زيارة الى غزة ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين واشادة بالخدمات التي قدمتها مصر لتلك المنطقة . كل ذلك في اسلوب شيق ونفس انساني رفيع وروح دعم وتأيبد للنضال العربي